غداً .. يوم آخر

الانزلاق من القمة.. أسهل.!

إيمان يحيى باجنيد

عندما تبدأ يومك وأنت تستمع لكلمات مثل (أنت شخص رائع – كم أحب التعامل معك – يا لك من شخصية مؤثرة) يغمرك إحساس لا يوصف من السعادة والزهو، يخلقنا وفي داخلنا ميلاً إلى الثناء من الآخرين، وقد نصبح في قمة الاعتزاز مع كل كلمة تحمل في معناها إطراءً.. على كل حال هي رغبة مشروعة، ولا ضير من وجودها.

إن من طبيعة النفس أنها ترغب في الزيادة دائماً، لذا فهي تتفنن في إبهار من حولها نحو الأمر الذي نالت عليه الثناء، وكلما زاد الإبهار زاد الثناء، إلى أن يُصبح مطلباً يطغى على الغاية.

قد نترقّب مَن حولنا، ونصاب بصدمة، لو مر يوم من أيامنا دون أن يمطر علينا أحدهم وابلاً من التكريم والتمجيد في شخصنا العظيم.

مهم أن تُحب نفسك وأن تدللها، دون أن تفرط في ذلك الدلال، وإياك تنخدع بما يفعله الدانيمركيون.! فهم يذبحون أبقارهم بعد تدليلها استعداداً لأكلها.

هذا ما يحدث مع الكثير من المحفزات الموجودة في وقتنا الحالي، بدءً من إطلاق العملاق، وتحطيم القيود، والسير على الجمر.. وصولاً إلى الهالة الخفية حولنا، و خواطر التأثير، لتصبح السيطرة على العجب بالنفس أمراً صعباً.. يحتاج منّا إلى صحوة سريعة، إن لم تفلح تلك الصحوة.. فلا مفر من الصفعة.

ليس كل ناصح شخصاً غيوراً يبطن الحقد على نجاحاتنا، أحياناً تأتينا الصفعة من عزيز، فلا تصيبنا بالغضب بقدر ما تتركه في نفوسنا من أثر إيجابي بالغ، ليقيننا بأننا في حاجة إليها.. يتوقف ذلك على مَن تلقيناها منه، وإن كانت صفعة في حقيقتها إلا أنها لامست القلب.

قد تأتي على هيئة كلمة أو نظرة أو حتى ابتسامة مبطنة بكثير من العتب

إن حصلتَ عليها في الوقت المناسب.! فكن شاكراً ولا تنتظر، أسرع نحو من أهداك إياها وأفتح له ذراعيك، ثم ضمه لأحضانك، وأهمس في أذنه قائلاً: (لا حرمني الله وجودك في حياتي).. فوجوده أنقذك من أكبر خدعة كان من الممكن أن تقع فيها، وتكون بدايةً لسقوطك في الهاوية.

بعض الأشخاص حولنا نحتاجهم لإبقاء الأمور في نصابها الصحيح، حتى لو تلقينا منهم قليلاً من القسوة المغلفة بحب.

هناك مواقف في الحياة تحتاج إلى إقدام في لحظتها، وإلا أصبحت بلا جدوى.. ولعل أهمها أن تحافظ على أولئك الصفوة، لأنك حينما تبحث عن حقيقة نفسك ستجدها لديهم.

للتواصل/ تويتر– فيس بوك eman yahya bajunaid

شهداء دير ياسين لمن نقدم العزاء؟

د. ناصر اسماعيل اليافاوي

تمر الأيام والسنين تترى ، والشعب الفلسطيني على مدار أكثر من قرن يتعرض لموجات من التطهير العرقي، والإبادة الجماعية المنظمة.

كل يوم تحاك عليه المؤامرات، والصفقات الدولية والاقليمية ، وأصبحت قضيتنا الفلسطينية العادلة كقطع مبعثرة من أحجار الشطرنج يسعى لترتيبها أبطال من الأقزام ، في ظل غابت فيه أمجادنا وتراثنا وثوابتنا وتبدل النسق القيمي لدينا .

اليوم نحن أمام ذاكرة مأساوية وجب علينا كمؤرخين إحيائها ، لعل من كان لديه ضمير بات نائما أن يصحو ويضع نصب عينيه مصلحته الوطنية والإسلامية والقومية، فوق كل المصالح الهشة التي ستذهب أدراج الرياح ، انها ذكري مجزرة دير ياسين التي لازالت مخلدة في ذاكرة كل الأحرار ، ولا زلنا نرسخها في عقول وذاكرة أطفالنا كي لا ننسى ، ولن ننسى مهما دارت علينا الدوائر، وسعي الاحتلال عبر انقسام مدبر ومخطط والعمل على كي وعي وذاكرة الاجيال ..

تبعد قرية دير ياسين عن مدينة القدس ٤ كيلو متر ، كان يبلغ عدد سكانها قبيل المجزرة في عام ١٩٤٨(٧٠٠ نسمة) غالبيتهم من المزارعين البسطاء المسالمين ، ولكن قضت المؤامرة الصهيونية وتحقيقا للمخطط الشيطاني للالتفاف حول القدس أن تدمر الفري المحيطة بها ،وكانت دير ياسين هى البداية الأليمة ..

وفى ظل الدعم البريطاني اللامتناهي للعصابات الصهيونية لم يكن أهل القرية المقدسية على علم أن شمس ٩-٤ من عام ١٩٤٨ ستغيب عن سماء قريتهم ، ورياح الصهاينة الخبيثة محملة برائحة الموت من كل صوب ..كانت الساعة الثانية صباحا و فجر التاسع من نيسان الربيعي يطل على قريتنا البديعة والعصافير تبيت في أعشاشها ، بأمان والأطفال يبيتون في أحضان أمهاتهم عسى ان تشرق الشمس بحلم قد تحقق على قريتهم ويلهون في حقولهم كالمعتاد ،ولكن الفلسفة التلمودية و التوراتية المحرفة أبت إلا وان تسرق البسمة من شفاه أطفال دير ياسين كما تخطف الآن من أطفال غزة ..اقتحمت عصابة شتيرن والهاغانا قرية دير ياسين، بقوات راجلة ودبابات وطائرات بنية القتل، والإبادة وألقت طائراتهم البريطانية الغربية والأمريكية ٧ قنابل ، وفاق الأهالي على هول المفاجأة، والمصيبة السوداء، التي حلت بهم وتناثرت جثث الأطفال والنساء في كل بقعة من القرية الصغيرة ، وتحدث من رأي كيف ذبح الأطفال وبقرت بطون الحوامل ،وتحولت آبار القرية إلى مدافن جماعية ، وكان الهدف هو التطهير العرقي ..

وقاوم أهالي القرية العزل بالسلاح الأبيض ، وفؤوس مطهرة مختلطة بعرقهم وبأديم الأرض المقدسة ..

وحدثت الكارثة :ومحيت القرية عن الخريطة ومحيت معالمها الفلسطينية جغرافيا ، ولكنها لم تمح من ذاكرة العرب والفلسطينيين ..علق قائد وحدة الهاغانا على وضع القرية المنكوبة في ذلك اليوم، بقوله: "كان ذلك النهار يوم ربيع جميل رائع، وكانت أشجار اللوز قد اكتمل تفتّح زهرها، ولكن كانت تأتي من كل ناحية من القرية رائحة الموت الكريهة ورائحة الدمار التي انتشرت في الشوارع، ورائحة الجثث المتفسخة التي كنا ندفنها جماعياً في القبر) ..كان الهدف من تلك المجزرة تحقيق مبدأ الرعب ومحو الوجود الفلسطيني ونزح من تبقى من أحرار دير ياسين ، ليكونوا شاهدا على العصر الدموي والأيادي التي تلطخت بدماء أطفالنا ونسائنا وشيوخنا وتلذذ زعيمهم القومي مناحيم بيجين، وتباهى بها أمام جرذانه قائلا "ما وقع في دير ياسين وما أذيع عنها ساعدا على تعبيد الطريق لنا لكسب معارك حاسمة في ساحة القتال، وساعدت أسطورة دير ياسين بصورة خاصة على إنقاذ طبريا وغزو حيفا" فمن خلال كلمات(بيجين) نفهم المغزى الحقيقي ..ومرت الأيام وارتكب الصهاينة ، وقطعان مستوطنيهم العشرات بل الاف من مجاز أبشع من دير ياسين نعدكم على إحياء ذكراها مهما كلف الأمر رغم النائبات لان فلسطين هي من تعنينا بالجانب الأول والأخيروالييوم ونحن نحيى ذاكرة دير ياسين، أصبحنا هنا في بلادنا فلسطين ارض الرسالات و الإسراء والمعراج المقدسة ، محتارون لمن نقدم واجب العزاء فيهم ، أنقدم العزاء حقا فيهم ، أم نقدم العزاء لهم فى أنفسنا، أم نقدم لهم العزاء فى قادة الانقسام المتوهمون بأنفسهم ، تترك لكم أن تكملوا من عندكم ايها الأحرار ..

تخيروا لذواتكم

خالد تاج باسلامة

أليس في ميراثنا الشعري العربي هذا القول:

كن ما استطعت من الأنام بمعزل
أن الكثير من الورى لا يصحب

وكذلك البيت الشعري الذي جرى مجرى المثل:

لكل داء دواء يستطب به
الا الحماقة اعيت من يداويها

وأقف مع شيخنا الامام الحسن البصري:

"من اخلاق المؤمن: قوة في دين وحزم في لين وحرص على العلم وقناعة في الفقر، واعطاء في حق وبر في استقامة وفقه في يقين وكسب في حلال". كثير من شارد القول والحكمة في اقوال السلف الصالح تدعونا ان نقوم ذواتنا ضللنا عنها تائبين.. نسأل الله تبارك وتعالى من نعيمه الذي لا ينفذ.. ولا نعن وجوهنا لسواء ولا نسأل غيره فسؤال غيره مذلة.. علينا ان نبوح بما علمنا الله ونسعى الى العلم وقد تيسير سبيله وقد كانوا قديما يضربون له اكباد الابل.

اشياء قد لا تدركها الذات وتقصر عن الفهم فهنا يكون واجب السؤال فلا حياء في العلم لان الحلم بحر لا قرار له.

علينا التدقيق في اختيار الاصدقاء فالقرين بالقرين يعرف فالاخلاق القويمة عنوان صادق لذات الانسان.. والدين نبراس هداية عن الذل الى الفضيلة.. والعلم يقين والصبر حسام على نائبات الزمان.

قال الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز: ثلاث من كل فيه فقد كمل: من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق.. واذا رضي لم يدخله رضاه في الباطن.. واذا قدر عفا وكف.. وكل قرين بالقرين يقترن.

واخيرا لست اقول بالعزلة عن الانام كما جاء في صدر حديثي ولكن اقول تخيروا لذواتكم من الاصدقاء.

حسن الجوار من مكارم الأخلاق

محمد بن ابراهيم السيف

الجوار هو ما يكون من مجاورة البلدان مع بعضها البعض، والمجاورة فيما بين القبائل والمجاورة بين الناس في المنازل، سواء كان ذلك في اماكن الحاضرة او في اماكن البادية والجوار يتطلب من المتجاورين التعامل فيما بينهم بكل ما هو من تقدير واحترام ومحبة ونبذ كل ما كان من عمل له صلة بسوء الجوار والعرب كانت تحرص كل الحرص على حقوق الجار وعلى حسن الجوار وعلى الاهتمام باكرام الجار وعدم الاساءة اليه او الحاق الاذى به والجوار قد ورد ذكره في القرآن الكريم فقال الله تبارك وتعالى في الآية ٣٦ من سورة النساء (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) وفي الآية ٦٠ من سورة الاحزاب قال الله جل وعلا (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً).

هذا مما ورد بشأن الجار من الاحاديث فمن حديث جاء فيه (خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره).

ومن حديث جاء فيه (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه)

وكذلك من حديث ورد جاء فيه (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره

ومن حديث آخر(فليكرم جاره)، وورد حديث جاء فيه (والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله: قال الذي لا يأمن جاره بوائقه) ايضا من حديث ورد جاء فيه (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره).

ومن حديث عن ابي هريرة رضي الله عنه قال (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال له اذهب فاصبر فاتاه مرتين او ثلاثا ثم قال اذهب فاطرح متاعك على الطريق ففعل فجعل الناس يمرون به ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبره مع جاره فجعلوا يلعنون جاره ويدعون عليه فجاء اليه جاره وقال يا اخي ارجع الى منزلك فانك لن ترى ما تكره ابدا).

هذا ومن امثال العرب فقد ورد مثل جاء فيه (الجار ولو جار).

وكذلك مثل قيل فيه (الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق) ومثل ايضا ذكر فيه (الجار القريب خير من الاخ البعيد).

هذا ومما قال لبعض الشعراء عن الجوار:

قال الشاعر لبيد بن ربيعة:

وان هوان الجار للجار مؤلم
وفاقرة تأوي اليها الفوافر

وقال ابن الوردي:

جاور اذا جاورت بحرا او فتى
فالجار يشرف قدره الجار

وقال الشاعر خليل مطران:

من كان جار السوء يوماً جاره
عدّت فضائله من الاوزار

وقال شاعر:

اكرم الجار حقه
ان عرفان الفتى الحق كرم

وقال شاعر:

يلومنني ان بعت بالرخص منزلي
ولم يعلموا جاراً هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملازم فانما
بجيرانها تغلوا المنازل وترخص

وهذا الذي ذكر سالفا هو فيما يتعلق بحقوق

دير ياسين والجرح النازف

عباس الجمعة

كثيرة هي المجازر التي ارتكبها الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني والشعوب العربيه منذ ما قبل النكبة الى يومنا هذا، فهي مجازر لا تعد ولا تحصى، والمفكرة الفلسطينية مليئة بأيام المجازر، ولكن مجزرة دير ياسين كانت الأكثر بشاعة ، حيث دفن ابنائها أحياء، كما في الدروس المستفادة منها في حاضر ومستقبل الصراع التاريخي المتواصل مع الاستعمار الاستيطاني العنصري الصهيوني ورعاته على جانبي الأطلسي، الأمر الذي يستدعي التذكير إن مجزرة دير ياسين لم تكن مجرد صدفة إنما هي مجزرة نكراء خطط لها العدو الصهيوني رغم بعد المسافة بين مجزرة واخرى ، وبالتالي إن المجتمع الدولي الذي عاقب النازيين على جرائمهم لا يجوز أبدا أن يكيل بمكيالين ولا يعاقب قادة كيان العدو وقادته على جرائمهم تجاه العرب ، بل يجب أن يعاقبهم تماما كما عاقب النازيين على مكانة المفاهيم والمبادئ التي ترسخت في العهود والمواثيق الدولية.

وامام هول المجازر لا تزال الصهيونية العالمية تعمل على تشويه وقائع وحقائق مجزرة دير ياسين الجماعية ، وما أعقبها من ابادات جماعية ومجازر كثيرة ، لا تعد ولا تحصى، تزخر بأيام المجازر في "خربة خزعة" والصفصاف واللد والرملة والطنطورة وعيلبون والدوايمة وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا وقانا ومخيم جنين وغزة ويوم الأرض والاعدامات الميدانية بحق الشابات والشباب وحرق العائلات وغيرها.

ومن هنا لم يتوقف نهج الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين خاصة والعرب عامة وحتى وقتنا الحاضر، ففي كل يوم يشن الكيان الصهيوني الحروب العدوانية ويرتكب المزيد من المذابح والمجازر هنا وهناك في أرجاء الوطن العربي وبالأخص داخل فلسطين المحتلة والأقطار العربية المجاورة لها، ولا يُعتقد أن هذا النهج سيتوقف ما دام هذا الكيان العنصري موجوداً فوق أرض فلسطين وبعض الأراضي العربية المحتلة، فالمذابح والمجازر الجماعية لم تكن أكثر من نماذج استخدمتها العصابات الصهيونية الإرهابية ومن بعدها قوات العدو الصهيوني، لتحقيق هدف واحد، وهو إبادة الشعب العربي الفلسطيني وتصفيته بالقتل أو إجباره على النزوح والهجرة من خلال ترويعه وتخويفه من هذه الإبادة .

لقد عانى الشعب الفلسطيني منذ قيام الكيان الصهيوني العنصري على انقاض الشعب الفلسطيني في عام ١٩٤٨ ألوانا وصنوفا شتى من الكوارث التي أنزلتها بهم الصهيونية بدعم من الامبريالية العالمية وتم التعبير عنها بالحروب العدوانية والمذابح والمجازر والاغتيالات والأشكال الإرهابية الأخرى. ومن المعروف أن أدوات التنفيذ اختلفت بين حرب وحرب ومذبحة ومذبحة ومجزرة ومجزرة وشكل وآخر من أشكال الإرهاب، ولا شك أن مجزرة دير ياسين التي أكتب عنها اليوم كانت واحدة من أبرز محطات الإرهاب الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني.

ثمانية وستون سنة مرت على مجزرة دير ياسين التي ارتكبتها قوات الإرجون، لتلبي رغبة المنظمات العسكرية الصهيونية من خلال هجوم وعمليات الذبح والإعلان عن المجزرة التي مثلت مجتمعة حالة من نمط صهيوني الهدف منه تفريغ فلسطين من سكانها عن طريق الإبادة والطرد ، ما زال المجرمون الصهاينة يحاولون خداع وإيهام أنفسهم والعالم بطهارة أياديهم وأسلحتهم التي تطلق القذائف والرصاص فتتطاير في الفضاء باحثة عن مكان تستقر فيه فلا تجد غير صدور العرب لتكون محطاتها الأخيرة، وما زال الشعب الفلسطيني يدفع الثمن تلو الثمن من دمائهم الطاهرة وكل مقدرات حياتهم.

اليوم في الذكرى الثامنة والستون لمذبحة دير ياسين لا زال الجرح الفلسطيني مفتوحا على مصراعيه،وما زال الدم الفلسطيني ينزف بغزارة،ينزف على مذبح الحرية والعودة،ولكن رغم كل هذا الشلال الغزير من الدماء والتضحيات الجسام والأثمان الكبيرة،لم نستطع ان نحقق اهداف شعبنا في وطن حر ومستقل،بل ما زلنا مستمرين في النضال والكفاح،هذا النضال والكفاح لن يوصلنا الى هدفنا،إذا استمرت حالة الانقسام ، فالمحتل يمارس زعرنته وبلطجته وعربدته على كل طول وعرض جغرافيا الوطن، يقتل ويعتقل ويغتال ويهدم ويصادر ويقيم المستوطنات، ويتحكم في كل مداخل ومخارج حياتنا من الألف الى الياء

في ذكرى مجزرة دير ياسين من حقنا أن نسأل: أليست هذه إبادة جماعية ووحشية تفوق ما قام به هتلر، أليست هذه الجريمة تستحق ولو جزءاً بسيطاً من الاهتمام الدولي الذي فقد مصداقيته، هذه الجريمة الصهيونية وغيرها الكثير يعلم المجتمع الدولي بحقائقها، وما يحدث على مدار الساعة من وحشية بحق الشعب الفلسطيني من قبل قوات الاحتلال الصهيوني وقطعان مستوطنيه.ألا تستحق هذه الجريمة وغيرها من الجرائم الصهيونية التي لا تقل عنها فظاعة إحياء العالم لذكراها، باعتبارها "أم المجازر"،وواحدة من أروع وأبشع الإبداعات في القتل والهمجية، وهي ستبقى على لوحة لم يستطع غبار الزمن إخفاءها ولم يستطع التاريخ طمس معالمها، رغم القهر، رغم المعاناة، رغم الألم مازالت دير ياسين شاهدة لم تستطع النسيان، رغم الجرح النازف جرح شعب مازال يجمع أشلاءه، جرح أرض مازالت تئن وتصرخ كما هي الحال في دير ياسين ولكن ستبقى ذكرى دير ياسين حية وخالدة في ذاكرة الأجيال الفلسطينية.

ان الكيان الصهيوني والذي نجح في البقاء و الاستمرار طوال هذه الفترة، لم يأت نجاحه من فراغ، بل جاء حصيلة الإعداد والتخطيط واللذان جعلا من إسرائيل كياناً يشكل خطراً وتهديداً حقيقياً ليس على الشعب الفلسطيني وحده بل على الأمة العربية بأسرها، وبما يهدد الأمن القومي العربي ويجعل هذا الكيان لاعباً ذو أهمية إستراتيجية لدى صناع القرارات الدولية.

إن ضعف الموقف العربي لعب دوراً أساسياً في تقدم و نجاح المشروع الصهيوني...وإن السبب يكمن في غياب سياسة واستراتيجية عربية ذات رؤية واضحة ومحددة للقدرات والإمكانات العربية توظف لحل التناقض الرئيسي ما بين الأمة العربية والكيان الصهيوني وبما يجنب الأمة العربية الإستهدافات الخطيرة للمشروع الصهيوني الاستعماري. إن الصراع الشامل والمفتوح والتاريخي مع الاحتلال الصهيوني وكيانه البغيض لن يتوقف إلا بتحقيق الحقوق التاريخية والعادلة للشعب الفلسطيني، وأن قضية فلسطين بكل تجلياتها وأبعادها المحلية والإقليمية والدولية ستبقى جوهر الصراع العربي الصهيوني حتى تزال الأسباب الحقيقية لهذا الصراع بضمان كامل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفي المقدمة منه حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس. وفي ظل هذه الظروف التي يواجه بها الشعب الفلسطيني عدواً صهيونياً عنصرياً واحتلالياً، يصادر الأراضي الفلسطينية ويقيم عليها مستوطناته اليهودية، ويعزل السكان الفلسطينيين عبر جدران الفصل العنصري، ويقيم الحواجز ويمارس الإرهاب بارتكابه المجازر ، يستنهض الشباب الفلسطيني بانتفاضته الباسلة ودماءه ويرسم خارطة فلسطين حتى تكون نبراسا يرى من خلاله جيل الغد كيف يكون التحرير والنصر. لهذا نؤكد في الذكرى الثامنة والستين لمجزرة دير ياسين"أم المجازر" ، ان جرحنا الذي لا يزال ينزف ويقدم الشهداء يقول للعالم ، ان النصر ات لا محالة، وان غدا لناظره قريب.

ختاما : لا بد من القول ان الدماء الزكية الطاهرة الذي يقدمها الشعب الفلسطيني منذ مجزرة دير ياسين حتى هذه اللحظة والتي امتزجت بثرى أرض فلسطين، ستبقى لهب قضية الصراع والوجود الفلسطيني العربي بمواجهة الاحتلال الغاشم ودولته العنصرية، حيث عانى شعبنا الويلات تلو الويلات، من قتل وتعذيب وتشريد وتهجير، من أجل طمس الهوية الوطنية الفلسطينية ، الا ان الشعب الفلسطيني يسطر اليوم ملحمة نضالية يكتبها بالدم العربي الفلسطيني عبر انتفاضته الباسلة التي يقودها شابات وشباب فلسطين ، وان حلقات النضال الوطني لا يمكن لأحد أن يفصلها ويباعدها وخاصة أنها تحمل في طياتها التصدي للمشاريع العدوانية والاستيطانية للاحتلال الصهيوني وادواته ، فهذا الشعب وهذه الانتفاضة تؤكد حقيقة قضيته وتأصيل مشهده الوطني ليعيد للقضية الفلسطينية حضورها على الساحتين العربية والعالمية على طريق تحرير الارض والانسان.

التلفزيون خرّب بيتنا!!

سري سمّور

ربما كان علي أن أستخدم كلمة(تلفاز) لا بل كلمة(المرناة) أو كلمة(الرائي) بدل كلمة تلفزيون، كما يرى بعض سدنة اللغة؛ ولعل استخدام كلمة عربية معينة لوصف مخترع أو آلة من ابتكار علماء ينتسبون إلى أمم وثقافات أخرى، هي جزء صغير من مجموعة مشكلات، عنوانها (هل أو كيف نتعامل مع هذه المخترعات؟) فنحن منذ بضعة قرون لم نقدم للإنسانية مخترعات جديدة، وتتلبسنا نوستالجيا(حنين إلى الماضي) عندما نتذكر علماءنا الذين أبدعوا في الفلك والرياضيات والطب وغيرها أيام مجد العباسيين في بغداد، وأيام ازدهار الأندلس.

ونضيف إلى الحنين والبكاء على ماضينا العظيم هجوما على حالتنا التي لا تشجع الابتكار والإبداع، وحديثا حماسيا مهاجما لهجرة الأدمغة والعقول العربية أو سرقتها من قبل الدول الغربية؛ وبأنها لو وجدت الدعم والمساندة والتبني الرسمي لما كان حصادها يجنيه الغرباء أو الأعداء...إلى آخر هذه المعزوفة التي منذ طفولتي أسمعها وقد مللت تكرارها.

لكن المحصلة أن لا البكاء أو التباكي على زمن ابن سينا والزهراوي والبيروني وعباس بن فرناس والخوارزمي وغيرهم، ولا الشعارات والانتقادات لهجرة العقول أو عدم استثمار ما لم يهاجر منها يغيران شيئا من الواقع المرير:نحن لا نخترع ولا نبتكر، ونحن سوق استهلاكي لمنتجات غيرنا!

ومن الطبيعي أن تصلنا المخترعات الغربية بإيحاءات كامنة، ومن البدهيات أنها لم تصل إلى أيدينا وفق تطور طبيعي في وسائل العيش، مثلما كان حال من أنتجوها، وهنا وقعنا في مشكلة معقدة تتعلق بكيفية التعاطي معها؛ فالذين رفضوها ووصل الحال ببعضهم إلى تحريمها دينيا، اضطروا إلى التراجع التدريجي، وقبول فكرة القائلين بتوظيفها فيما هو مفيد أو نافع، وآخرون رأوا أننا يجب أن نسير وفق ما سار عليه أصحاب الاختراع ونتبع سننهم حذو القذة بالقذة، كي نلحق بركب التطور والحضارة؛ وآخرون قالوا نمزج بين الأمرين أي نحاول الحفاظ على ثقافتنا ونأخذ ما لا يتناقض معها ...والحقيقة المرّة أن الجميع فشل فشلا ذريعا، وبقينا تحت رحمة أهواء وحسابات الرأسمالية العالمية، المسنودة عندنا بما يتوافق معها من تراكيب سياسية واجتماعية، وبيئة تزداد ولا تنقص فيها البطالة والفقر والجهل ستجعل الأثر السلبي لتلك المخترعات كبيرا جدا بلا شك.

وما دفعني لكتابة هذه المقالة هو الانتقاد والخوف من مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب، وصولا إلى الإنترنت عموما، ومزج ذلك بالتباكي على أيام التلفزيون قبل عصر القنوات الفضائية.

وقد ضحكت ساخرا من هذا المنطق لأنني أتذكر عبارة(التلفزيون خرّب بيتنا) التي ظلت تتردد في غير مكان،وعلى لسان فئات مختلفة من الناس.

فالتلفزيون سبب خراب البيوت في يوم من الأيام، واليوم فإن الإنترنت وما تولد عنها من تطبيقات تواصل اجتماعي هي التي سببت خراب البيوت، ولكن التلفزيون اكتشفنا فجأة اليوم أنه كان يعمر البيوت!

قالوا بأن التلفزيون يضيع الأوقات؛ حسنا هل كان الناس في مجتمعنا قبل وجود التلفزيون يجلسون لتدارس علوم الدنيا والدين؟وقالوا:التلفزيون أثر سلبا على العلاقات الاجتماعية والأسرية، وهل كانت العلاقات الأسرية قبله سليمة ١٠٠٪ ألم تكن قائمة على التفرد والتسلط والأبوية الجارفة المصادرة للحق في التفكير والاختيار؟!

ثم صار يقال بأن (الدش والرسيفر) خرب أخلاقنا وأفسد أبناءنا وبناتنا،وخاصة (الديجيتال)...الآن يقال الفيسبوك وتويتر والواتساب فعلت فعلها وخربت وأفسدت أخلاق البنين والبنات...وغدا بعد اختراع جديد من الخواجات سيترحم القوم على ما بأيدينا اليوم، وهذا حال الأمم المتلقية.

هناك بعض المجتمعات خاصة الآسيوية مثل الصين وكوريا الشمالية تفرض على شعوبها ستارا حديديا ويمنع التعاطي مع كثير من وسائل الاتصالات والتواصل إلا بضوابط تفرضها الدولة وبرأيي فإن أسلوب الحجب والمنع والحصار لن يصمد طويلا، وأيضا منطقتنا العربية لها خصوصيتها التي لا يمكن استنساخ نماذج عليها تقنيا،.

إننا في حالة معقدة؛ فمن جهة من اخترعوا التلفزيون والرسيفر والإنترنت لا يريدون فقط أن يسوقوه تجاريا، مع أهمية هذا الهدف بالنسبة لهم، بل هم معنيون بنشر قيم ومفاهيم ثقافية معينة، قد تتعارض مع ديننا وتراثنا؛ ومن جهة أخرى فإننا لما أتيحت لنا هذه المخترعات التي كانت قبل عقود أشبه بخيال جامح، كنا متطرفين في التعامل معها، فمن رفض لها بدعوى الخوف وحراسة الفضيلة، إلى تحويلها لأداة تنتج الرديء وإذا كان هذا بيد الجهات الرسمية؛ فإن الأفراد في استخدامهم للإنترنت وما تولد عن هذه الشبكة العنكبوتية كانوا أكثر رداءة حين حولوها إلى أداة جديدة للشتم والكذب وبث الإشاعات ونشر ثقافة البغضاء انطلاقا من أرضية إقليمية أو مذهبية أو عرقية أو جهوية أو سياسية، وفي نفس الوقت أكثر ما يبحث عنه أهل منطقتنا هو المواقع